

الحوزة العلمية والمرجعية الدينية في النجف الأشرف

(٤٤٨-٥٥٣هـ/١٠٥٦-١١٥٨م)

أ.م.د. علاء الدين السيد محمد تقي الحكيم

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

حظيت الحوزة العلمية بمنزلة سامية في العالم الاسلامي لما قدمته من خدمات جليلة وطروحات جديدة في مختلف المجالات التي خاضتها سواء في مجال الحياة الاجتماعية وما ينبثق عنها من مجالات تصب في قنوات الفكر والمعرفة أم في المجالات الأخرى سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية. ولا يخفى على احد ماللحوزة العلمية في النجف الاشرف من من دور مهم في حاضر الامة ومستقبلها فقد نهضت بواجبها خير قيام استجابة لقول لله عز وجل ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) فحافظت بكل شجاعة وصبر على وجود الثلة المسلمة المؤمنة موضحة لها معالم دينها واداب شريعته وعقيدتها المستمدة من تأريخ ائمتها الزاخر.

وبعد هذه المقدمة اشتمل البحث على محورين

الاول منها سلط الضوء على عنوان البحث ومفرداته (الحوزة العلمية، المرجعية الدينية) متطرقا الى تاريخية هذه المصطلحات التي اصبحت بمرور الزمن علما جنسيا لهذا الكيان مرتبطا به ارتباطا وثيقا وتاريخا مدرسة اهل البيت (عليهم السلام). وجد الباحث ان بدايات ظهور هذا المصطلحات جاء متأخرا بعدة قرون عن بداية تأسيس هذه الحوزات العلمية ومرجعياتها الدينية.

تناول المبحث الثاني تأسيس الحوزة العلمية في النجف الاشرف على يد الشيخ الطوسي بعد هجرته القسرية الى النجف عام ٤٤٨هـ — تاركاً داره التي كبست ومكتبته التي احرقت وتلامذته الذي حرص على تربيتهم طيلة اربعين سنة .

عمل الشيخ في مستقره الجديد بجد واخلاص ونشاط في التأسيس للحوزة العلمية في النجف الاشرف ولم يدربخلده انها ستكون مركزا علميا وحضاريا خالدا . تطرق الباحث في ثنايا البحث الى نشأة الحوزة العلمية في النجف قبل مجيء شيخ الطائفة اليها ونظريات وجود الحوزة العلمية فيها وخلص الى الاقرار بوجود بيوتات علمية وطلاب حوزة ولاكنها لا ترقى إلى ظاهرة تأسيس حوزة علمية بالمعنى الاخص . ويميل الباحث الى الرأي القائل ان زمن نشوء الحوزة العلمية في النجف الاشرف كان على يد الشيخ الطوسي لأسباب ذكرت في ثنايا البحث.

ولم تستمر الحوزة العلمية فيها مدة طويلة بعد وفاة نجلي الشيخ الطوسي اذ تهيأت ظروف دينية واجتماعية وسياسية وفكرية ادت مجتمعة الى انتقالها الى الحلة الفيحاء بأنتقال مرجعها الشيخ عماد الدين الطبري .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الذين اصطفى . وبعد فقد حظيت الحوزة العلمية بمنزلة سامية في العالم الاسلامي لما قدمته من خدمات جليلة وطروحات جديدة في مختلف المجالات التي خاضتها سواء في مجال الحياة الاجتماعية وما ينبثق عنها من مجالات تصب في قنوات الفكر والمعرفة أم في المجالات الأخرى سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية.

وقراءة سريعة لتاريخها العتيذ الممتد على مدى عشرة قرون من عمرها المديد الحافل بالمتغيرات والصراعات التي قدر لها أن تخوضها هنا وهناك طبقا لما يمليه عليها الواجب الشرعي كل بحسبه ، تنتهي بنا بوضوح الى حجم المسؤوليات الجسم الملقاة على عواتق قادتها في الأخذ بيد أبنائها الى شاطئ الأمان.

وقد قسمت البحث الى محورين

المحور الأول : أضواء على العنوان.

أ- الحوزة لغة واصطلاحا

الحوزة لغة: حوز : الجمع ، والتجمع يقال لكل مجمع وناحية حوز وحوزة ، وحوزة الرجل ما في ملكه ، وحوزة الإسلام حدوده ونواحيه ، والحوز السيد الشديد ، وحوز الإبل ساقها إلى الماء ، والتحوز التلبث والتمكث ، وتحاوز الفريقان إذا انجاز كل واحد عن الآخر ، وتحوز وتحيز بمعنى تنحى ، واحتياز الشيء ضمه وجمعه والحصول عليه^(١).

الحوزة اصطلاحا: لا يمكن تحديد المعنى الدقيق من مفردة (الحوزة) إلا بما تضاف إليه أو توصف به ، والحوزة توصف بكلمة (العلمية) كي تعبر عن معناها الاصطلاحي لتمييزها عن غيرها لأنها مرتبطة معها بمعناها اللغوي ارتباطا وثيقا وهو احتياز العلم وجمعه والحصول عليه والمناسبة هنا مناسبة معنوية ، ويمكن نقل المعنى إلى المعنى الاصطلاحي فالحوزة هي المكان الذي يحاز به العلم بالمناسبة هنا مكانية مأخوذة من المعنى اللغوي وهو (الناحية).

الحوزة العلمية اصطلاحا

عرفت الحوزة العلمية بأنها ((كيان علمي بشري يؤهل للاجتهاد في علوم الشريعة الإسلامية ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها))^(٢)، وعرفت أيضا أنها

((مركز التعليم الديني الذي يتبع في طريقة تعليمه النهج الذي تربي عليه الفقهاء السابقون منذ عصور الإسلام الزاهرة وحتى العصر الحاضر...))^(٣)، وذهب ثالث إلى القول إنها ((مؤسسة إسلامية علمية دينية تقوم على تعليم المعارف الإسلامية ومقدماتها بطوعية واختيارية واعية لتنشئة روحية مستندة إلى وازع ديني مقدس))^(٤).

كل هذه التعريفات لا تخلو من مناقشة كعبارات (كيان بشري) و (مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها) و (مؤسسة إسلامية) و (النهج الذي تربي عليه الفقهاء السابقون) و ((بطوعية واختيارية واعية... الخ)). ويرد على أكثرها عدم ذكرها للمنهل الفكري الذي تستقي منه الحوزة العلمية وهو القرآن وسنة المعصومين (عليهم السلام) فكرا ومنهجاً ومضامين لذا أرى أن تعرف على أنها ((كيان علمي يستقي من القرآن وسنة المعصومين عليهم السلام مادته الأساسية ويهدف إلى تأهيل طلبته للوصول إلى مرحلة الاجتهاد في علوم الشريعة)).

بـ مصدر كلمة الحوزة

١. في القرآن الكريم.

لم ترد هذه الكلمة في مفردات القرآن الكريم بل وردت كلمة (متحيزاً) في سياق قوله تعالى: ﴿إلا متحرفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئة﴾^(٥)، وجاء في تفسير الطباطبائي ((والتحيز إلى فئة أن ينعطف المقاتل عن الأفراد بالعدو إلى فئة من قومه فيلحق بهم ويقاوم معهم))^(٦).

٢. في سنة المعصومين عليهم السلام.

أ. الحوزة بمعنى الناحية.

ففي الحديث (فحمى حوزة الإسلام) (٧) قال ابن الأثير أي حدوده ونواحيه (٨)، وعن الإمام علي (عليه السلام) أنه استعمل مخنف بن سليم على صدقات بكر بن وائل وكتب له عهدا ((فمن كان من أهل طاعتنا من أهل الجزيرة... فادعى إنه أدى صدقته إلى عمال الشام وهو في حوزتنا ممنوع قد حمته خيلنا ورجالنا فلا يجوز له ذلك...)) (٩).

ب. الحوزة بمعنى الملك .

عن الإمام علي (عليه السلام) قال : ((قد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة)) (١٠).

ج. الحوزة بمعنى ضم الشيء وجمعه والحصول عليه .

قال الإمام علي (عليه السلام): ((فصيرها - أي عمر بن الخطاب - في حوزة خشاء يغلف كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة...)) (١١).

ج. تاريخية مصطلح الحوزة العلمية

لتحديد تاريخية نشوء هذا المصطلح الذي أصبح بمرور الزمان علما - جنسيا - لهذا الكيان مرتبطا ارتباطا وثيقا به ، وبلغت علماء الدين وأدبياتهم وتاريخ مدرسته أهل البيت (عليهم السلام) لابد لنا من البحث والتقصي للوصول إلى بدايات نشوء وتداول هذا المصطلح وذلك بالرجوع إلى كتابات علماء الحوزة العلمية ووقفياتهم وإجازاتهم وتواقيعهم واستفتاءاتهم وأدبياتهم ، إذ وجدت - وحسب استقراي الناقص - أن بدايات ظهور هذا المصطلح جاء متأخرا بعدة قرون عن بدايات تأسيس هذه الحوزة ومدرستها العلمية التي جاءت امتدادا زمنيا ومنهجيا لمدرسة الكوفة (١٢)، ولم يظهر

هذا المصطلح إلى الوجود حتى بعد هجرة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي القسرية إلى النجف الأشرف في عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وتأسيسه للحوزة العلمية هناك^(١٣).

نعم استعملت مصطلحات قريبة من هذا المصطلح كمصطلح (حوزة الدين) أو (حوزة الإسلام) في أحاديث المعصومين عليهم السلام - على النحو الذي سيأتي - ومن بعدهم علماء الإسلام في مؤلفاتهم في علوم القرآن والحديث^(١٤)، ولا يقصدون منها ما نقصده منها .

وجاء في البداية والنهاية (لابن كثير) في ذكر وفاة الشيخ المفيد ((شيخ الإمامية الروافض والمصنف لهم والمحامي عن حوزتهم...))^(١٥).

ولم يظهر هذا المصطلح حسب تتبعي الناقص - إلا في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين إذ جاء أول ما جاء في أثناء كلام منسوب إلى الشيخ محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ/١٨٩٤م)^(١٦)، ولا يهمننا التحقق من صحة هذه النسبة أو عدمها إليه بل المهم أن هذا المصطلح ظهر في تلك المدة ، ثم بدأ بالظهور كثيرا في بحوث ومقالات مجلة (درة النجف) النجفية التي صدرت سنة (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) باللغة الفارسية^(١٧) وبعدها أصبح متداولاً بشكل أكبر

د- المرجعية الدينية ، تاريخية المصطلح

المرجعية : كلمة مركبة من المرجع وياء النسبة وتاء المبالغة ، ويعود أصلها إلى الفعل (رجع)، والرجوع العودة إلى ما كان من البدء^(١٨)، ويرجع رجعا ورجوعا ورجعى ومرجعا ومرجعة : انصرف ، وفي التنزيل إلى الله مرجعكم جميعا أي رجوعكم^(١٩).

وردت كلمة مرجع في ست عشرة آية قرآنية^(٢٠) منها : ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾^(٢١)،

وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعا﴾^(٢٢).

والمرجعية العامة للفقيه اصطلاحاً: ((هي التولي لشؤون الأمة أو الفرقة والطائفة بأجمعها ، وبيده الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها ، ويسمى المتقمص بها بالمرجع...))^(٢٣)، وأما المرجع الديني فهو ((المجتهد العادل الذي يرجع إليه الناس للفتوى لعباداتهم ومعاملاتهم))^(٢٤).

ويرد على هذين التعريفين بعض المؤاخذات - لست بصدد ذكرها - إذا كان المراد أن يكونا تعريفين علميين، أما إذا أريد منهما شرح لفظي للمصطلح فلا ترد عليهما مثل تلك المؤاخذات .

ويبدو ((للباحث)) إن بداية ظهور هذا المصطلح (المرجعية)، التي اختصت به الحوزات العلمية الشيعية دون غيرها ، جاء متأخراً لعدة قرون من نشأة هذه الحوزات . نعم استعملت ألفاظ قريبة منه بعيدة عنه مضمونا مثل (مرجع الفضلاء) حيث وصف قطب الدين الكيدري (كان حيا عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م) أستاذه عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن حمزة الطوسي بـ ((قطب الملة ، مفخرة العلماء ، مرجع الفضلاء))^(٢٥).

ظهر هذا المصطلح أول مرة - حسب استقرائي الناقص - في ترجمة الفاضل الهندي^(٢٦) المتوفى سنة (١١٣٧هـ / ١٧٢٥م) - من كتاب تاريخ حزين للشيخ محمد علي بن أبي طالب (ت ١١٨١هـ / ١٧٦٧م) بالقول: ((عمدة المجتهدين مولانا بهاء الدين محمد الأصفهاني قد اشتغل مدة طويلة في تدريس العلوم الدينية وكان مرجع أهل زمانه في الشرعيات))^(٢٧) ويبدو صدق هذا القول في ما ذكره المرجع الفاضل الهندي في توجيه عدم إكماله كتابه (كشف اللثام) بالقول: ((لانشغال الناس علي للاستفتاء في جميع ممالك المسلمين))^(٢٨) وقد ظهر هذا المصطلح لاحقا على لسان المرجع الشيخ محمد حسن الجواهري في إرشاد مقلديه الى تقليد الشيخ الأنصاري

ليكون المرجع من بعده. ثم بدأ هذا المصطلح بالتداول بشكل أكبر ففي كتاب التفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي إن (ملا علي) من علماء همدان نقل عن المرحوم الميرزا عبد النبي النوري (ت ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) وهو من علماء طهران كرامة حصلت للسيد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م) وقد وصفه في أثناء سردها بالمرجع الكبير للشيعة^(٢٩)، ويمكنني القول إن مرجعية الشيخ المفيد كانت أول مرجعية شيعية بعد عصر الغيبة الكبرى في العراق، إذ يبدو لي ذلك من دراسة حياته وسبر تراجم معاصريه فقد وصف برلسان الإمامية^(٣٠) و((فقيه الشيعة وشيخ الرافضة ومتكلمها))^(٣١)، و((رئيسهم وأستاذهم وكل من تأخر منه استفاد منه))^(٣٢)،

((انتهت إليه رئاسة الإمامية في زماننا))^(٣٣)، ويبدو أيضا من تراجم المعاصرين فقد كانت له ((المرجعية في الفتيا والأحكام في كثير من البلدان ويرجعون إليه في الفصل واخذ الأحكام كجرجان، وخوارزم، والرقّة، وحران، والدينور، وسارية... إلى غيرها من المدن والبلدان التي كان أهلها يفتزعون إليه في حل الخصومات ويرجعون إلى رأيه في الأحكام))^(٣٤)، و((الذي انتهت إليه رئاسة الإمامية والمرجعية الدينية العليا في وقته))^(٣٥).

أما زمن مرجعيته فيمكن تحديدها بشكل دقيق في حدود سنة (٣٦٨هـ) أو ما بعدها بقليل من السنين لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، وذلك اعتمادا على القرائن الآتية :

١. ذكرت المصادر التاريخية أن الشيخ المفيد كان ذا عظمة وجلالة في دولة عضد الدولة البويهية^(٣٦)، وقد تولى عضد الدولة الحكم بين (٣٦٨هـ - ٣٧٢هـ/ ٩٧٩ - ٩٨٢م)^(٣٧).

٢. تولى الشيخ المفيد تعليم الشريفيين الرضي والمرتضى وهما صغيران ، فقد ولد الرضي عام (٣٥٩هـ/٩٧٠م) ، والمرتضى عام (٣٥٥هـ/٩٦٦م) (٣٨).

٣. ذكر ابن النديم في الفهرست مترجماً الشيخ المفيد ((وفي عصرنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه)) (٣٩)، وذكر في مقدمة هذا الكتاب ((هذا فهرست كتب جميع الأمم ... من ابتداء كل علم إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة)) (٤٠)، وهذا التاريخ قريب مما ذكرناه لأن المقدمة تكتب عادة بعد اكتمال مطالب الكتاب وأبوابه وكانت وفاة ابن النديم في سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م). توفي أستاذه (ابن قولويه) وهو شيخ الشيعة في عام (٣٦٨هـ/٩٧٩م) (٤١)، ومن الأدب بمكان عدم تصديه للمرجعية في حياة أستاذه وهو في سن الكهولة إذ كان له من العمر نيف وثلاثون سنة، وهذا يقرب توليه هذه المهمة بعد وفاة أستاذه. إن المتتبع لحياة الشيخ المفيد وجهوده العلمية والاجتماعية طيلة ستة عقود يلمس بوضوح قوة شخصيته المميزة التي أهلتها لرئاسة الطائفة الإمامية وقيادة أول مرجعيتها طيلة أربعة عقود زاخرة بالعطاء.

المحور الثاني : حوزة النجف الأشرف العلمية (٤٤٨-٥٥٣هـ/١٠٥٦-١١٥٨م)

ترك الشيخ الطوسي بغداد قسراً ويمم وجهه تلقاء النجف الأشرف عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) بعد الفتنة الطائفية التي أورى زنادها (السلامة) فاستقر مشخناً بألم الجراح إلى جنب صاحب باب مدينة العلم يشكو إليه ما أمضه ويطلب منه التوفيق في مآله الجديد .

عمل (الشيخ) بجهد وإخلاص ونشاط وتفان في إنشاء الحوزة العلمية في النجف ولم يذر بخله أنها ستكون على مر الأيام مركزاً علمياً وحضارياً خالداً ، غير أن بعض النظريات^(١) أشارت إلى أن حوزة النجف كانت قبل مجيء الشيخ إليها حيث ((امتدت

المدرسة من الكوفة إلى النجف ، وفي القرن الثاني للهجرة بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف فانتقلت من الكوفة إليها وبقيت الكوفة تصب في بحر النجف إلى القرن الثالث الهجري^(٢٤٢)، وتستند هذه النظرية إلى دعوى مفادها وجود بعض الأسر العلمية في النجف قبل هجرة (الشيخ) مثل آل شهريار وآل الطحال وآخرين إليها وكذلك وجود إجازات علمية منحت فيها^(٢٤٣)، ونوقشت هذه النظرية من عدة وجوه وخلص النافون لها إلى الإقرار بوجود بيوتات علمية ولكنها لا ترقى إلى ظاهرة تأسيس حوزة وكذا بالنسبة إلى الإجازات إذ أكد النافون في أن النجف تعد مزارا يجتمع فيه العلماء من مختلف الأمصار الإسلامية .

وظهرت نظرية ثانية تدعي أن زمن نشوء الحوزة العلمية في النجف متزامن مع ورود الشيخ الطوسي إليها إذ يذهب السيد محمد باقر الصدر إلى أن ((عدم إشارة مؤرخي هجرة الشيخ إلى النجف لم يشيروا إلى أن تلامذة الشيخ في بغداد قد رافقوه أو التحقوا فور هجرته إلى النجف ، وهو دليل على عدم وجود كيان علمي إذ لو كان مثل ذلك الكيان موجودا لالتحق الطلاب بشيخهم وما يعزز احتمال حداثة الحوزة التي تكونت حول الشيخ الوظيفة التي أداها فيها ابنه الحسن المعروف بأبي علي ، فقد تزعم الحوزة بعد وفاة أبيه ومن المظنون به أن أبا علي كان في مرحلة الطفولة أو أوائل الشباب.... والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس هي أن الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف))^(١).

ومال (الباحث) إلى هذه النظرية وأضاف إليها أسبابا أخر لم يذكرها السيد محمد باقر الصدر وهي:

١. أن شدة المحنة التي أصابت شيخ الطائفة وأجبرته على الهروب إلى النجف لا يمكن أن تنتهي آثارها النفسية المدمرة بين ليلة وضحاها بل يحتاج المبتلى بها إلى مدة طويلة من الصبر ولممة الجراح لامتصاص آثارها النفسية.

٢. لم يجد الباحث للشيخ الطوسي - على كثرة مؤلفاته والتي بلغت ثمانية وخمسين كتاباً ورسالة - مؤلفاً واحداً الف في النجف الأشرف على الرغم من بقاءه فيها ما يقارب اثنتي عشرة سنة ، نعم أملى على تلامذته مجالس عديدة طبعت في كتاب (الأمالى)، وكتاب (اختيار الرجال) وهو اختصار لكتاب رجال الكشي^(٢)، وكتاب (شرح الشرح) في الأصول وهو ((كتاب مبسوط أملى علينا منه شيئاً صالحاً ومات ولم يتمه))^(٣).

ولعل عوامل منعت الشيخ عن التأليف في النجف الأشرف أهمها حسب ما يرى الباحث: أ- محاولته لامتصاص الأزمة النفسية التي واجهته وتداعياتها التي أجبرته على الهجرة. ب - افتقار النجف الأشرف إلى المصادر العلمية المعتمدة في التأليف بعد أن ترك مكتبته العامرة في بغداد طعمة للنيران والنهب.

ج- انشغاله واهتمامه بإنشاء حوزة علمية في النجف.

د - ضعف المستوى العلمي وضعف المتلقي من الطلاب في النجف مما جعل (الشيخ) يبذل جهوداً مضاعفة للارتقاء بمستواهم العلمي ، وإدراكه الفارق الكبير بين حوزته العلمية في بغداد وحوزة النجف لأن بغداد عاصمة الخلافة وملتقى العلم والعلماء من كل بقاع الإسلام.

هـ- فقدان علماء المذاهب الأخرى وجودهم في النجف الأشرف مما جعل هذه الحوزة أحادية الجانب ، كل هذه الأسباب مجتمعة فتت في عضده وعزيمته.

٣. المتتبع لحياة الشيخ الطوسي العلمية في النجف من خلال الدرس والتدريس يجد أنها بدأت بالاستقرار والثبات في السنين الأخيرة من حياته ، فقد بدأ بالتدريس والإملاء على طلبته إبتداء من سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) ولمدة ثلاث سنين انتهت في عام (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)^(١)، وأملى على تلامذته اختصار كتاب الكشي في عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)^(٢)، وأملى عليهم كتابه في الأصول (شرح الشرح ومات ولم يتمه)^(٣)، ومن هذا أن إعداد طلبية الحوزة الجديدة لتلقي علومه ومعارفه قد بدأ يعطي ثماره بعد ثماني سنوات من هجرته وبنائه للحوزة وأصبح الطلبة مؤهلين لتلقي مثل هذه العلوم .

توفي الشيخ الطوسي في سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٨م) وتصدى ولده أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن للمرجعية وقد أجمع له كافة على عظمته وعلو شأنه في العلم والعمل وأنه أحد كبار فقهاء الشيعة وأجلاء علماء الطائفة وأفاضل حملة الحديث وأعلام الرواة وثقاتهم ، وقد بلغ علو شأنه وسمو مكانته أن لقب بالمفيد الثاني^(٤). وبعد انتقاله إلى جوار ربه سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) تولى المرجعية من بعده ولده الشيخ محمد بن الحسن بن محمد الطوسي شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم رحلت طوائف الشيعة إلى العراق وحملوا عنه وكان ورعا عالما متألها كثير الزهد.... أثنى عليه السمعاني قال العماد الطبري: لو جازت على غير النبي صلى الله عليه وسلم وغير الإمام صلاة لصليت عليه، توفي الشيخ في سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)^(٥) ثم تولى المرجعية عماد الدين الطبري النجفي تلميذ أبي علي الطوسي في منتصف القرن السادس الهجري^(٦).

وقد سجلت على مرجعية النجف بعض النقاط

١. فتور المستوى العلمي بعد وفاة شيخ الطائفة، ((فلم تنتج هذه المرحلة مجتهداً رقى إلى مقامه العلمي كيما يحل محله أو يضيف إلى تأسيساته العلمية شيئاً جديداً^(٢)، فقد تسنم زعامة الحوزة العلمية نجله فاستقل بالفتيا والتدريس خلفاً لأبيه إلا أن الظاهر من حاله دورانه في فلك أبيه العلمي إذ لم تعرف له آراء مستقلة عنه في الفقه، وبعد انتقاله إلى رحمة ربه قام ولده الشيخ أبو نصر محمد بن أبي علي الطوسي مقامه في الزعامة الدينية^(٣))).

٢. انتقال المرجعية من النجف إلى الحلة، فقد ذكر (الشبيبي) مؤرخاً للنجف وحوزتها وعصورها التي حج إليها الناس من أجل التعلم والتفقه، ووضع على كل رأس عصر إماماً من مشاهير أئمة الشيعة أقدمها عصر الطوسي على إثر هجرته إلى النجف الأشرف وإقرائه فيها الناس وشدهم الرحال إليه في منتصف القرن الخامس ثم عصر عماد الدين الطبري النجفي^(٤) تلميذ أبي علي الطوسي في منتصف القرن السادس^(٥).

ويستفاد من رواية (ابن المشهدي) تلميذ عماد الدين الطبري عنه إقامته في النجف في عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) ومن عبارة الشيخ (الشبيبي) كونه مرجعاً للطائفة وجاء ((في ترجمة الطبري من تاريخ طبرستان ما معربه فقيه آل محمد عليهم السلام عالم زاهد متدين استدعاه الأمير ورام بن أبي فراس^(٦) إلى الحلة فأقام بها عامين وخصص الأمير لنفقته كل عام ألف دينار فرحل إليه الشيعة من بغداد والكوفة وكل النواحي يقرؤون عليه ويستمعون منه ويحملون عنه^(٧)))، ودل النص المتقدم على انتقاله مع مرجعيته إلى الحلة.

- ^١ () للتفاصيل انظر مادة حوز، ابن منظور، لسان العرب ، ، الجوهري، الصحاح ، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.
- ^٢ () علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية (١٩٢٠ - ١٩٨٠)، ص ٩٤.
- ^٣ () عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الأشرف، ص ٢٠.
- ^٤ () محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف (١٩٢١ - ١٩٤٥ م)، ص ١٦.
- ^٥ () ((القرآن الكريم)) سورة الأنفال، آية: ١٦.
- ^٦ () محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٣٧.
- ^٧ () ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٤٦٠.
- ^٨ () لم أجد هذا الحديث في كتب الحديث وغيرها، وقد نقلته كتب اللغة - فيما يبدو - عن ابن الأثير
- (ت ٦٠٦ م) في كتابه النهاية في غريب الحديث، وذكره ابن منظور في (لسان العرب) والزبيدي (ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٥ م) في تاج العروس بالنص المذكور في المتن.
- ^٩ () المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٧٠.
- ^{١٠} () المصدر السابق، ج ٣١، ص ١٣٦.
- ^{١١} () الإمام علي، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨.
- ^{١٢} () عبد الهادي محسن الحكيم، العقد الفضولي - مقدمة السيد محمد تقي الحكيم، ص ١٨.
- (١٣) راجع عنه حسن الحكيم ، الشيخ الطوسي
- ^{١٤} () انظر الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج ١، ص ٢٠١؛ التفتازاني، شرح المقاصد في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٧٨؛ إسماعيل بن كثير ، تفسير ابن كثير
- ^{١٥} () إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩
- ^{١٦} () انظر محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، ج ٥، ص ٢٠٨.
- ^{١٧} () انظر ((درة النجف))، (مجلة) (النجف)، السنة الأولى، رجب ١٣٢٨ هـ، العددان ٤-٥، ص ١٩٨.
- ^{١٨} () الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (رجع).

- ١٩ () ابن منظور، المصدر السابق، مادة (رجع).
- ٢٠ () محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (رجع).
- ٢١ () ((القرآن الكريم)) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.
- ٢٢ () ((القرآن الكريم)) سورة المائدة، آية: ٤٨.
- ٢٣ () علي كاشف الغطاء، باب مدينة علم الفقه، ص ٣٥٨.
- ٢٤ () مجموعة باحثين، الاجتهاد واشكاليات التطوير والمعاصرة، ص ٣٤٤.
- ٢٥ () انظر قطب الدين الكبدري، مصباح الشريعة بمصباح الشيعة، ص ٢١٥.
- ٢٦ () بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني (١٠٦٢-١١٣٧هـ) من زعماء ومراجع الشيعة الكبار في الدولة الصفوية أشهر مؤلفاته كشف اللثام، للتفاصيل انظر الفاضل الهندي، كشف اللثام - من مقدمة رسول جعفریان
- ٢٧ () انظر محمد علي بن أبي طالب، تاريخ حزين، ص ٩٤.
- ٢٨ () الفاضل الهندي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧.
- ٢٩ () انظر مكارم الشيرازي، التفسير الأمثل، ج ٧، ص ١٣٣.
- ٣٠ () الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٦٥.
- ٣١ () السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٢٦٦.
- ٣٢ () الحر العاملي، الاثنى عشرية، ص ٤٧.
- ٣٣ () ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- ٣٤ () محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام - المقدمة، ص ١٦.
- ٣٥ () محمد جعفر الحكيم، المصدر السابق، ص ٧٥.
- ٣٦ () الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢١.
- ٣٧ () ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٨.
- ٣٨ () انظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١.
- ٣٩ () ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- ٤٠ () المصدر نفسه، ص ٩.
- ٤١ () انظر ابن قولويه، كامل الزيارات - المقدمة، ص ٤.

^١ (١) للتفاصيل حول نظريات تأسيس الحوزة العلمية انظر عفيفي عريبي يونس، تطور الفكر الإمامي في العراق خلال العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠ هـ/ ١٠٥٥-١١٩٤ م)، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٠ م)، ص ١٤٢-١٥٨.

^٢ (٢) علي الشرقي، المصدر السابق، ص ٤٠.

^٣ (٣) للتفاصيل انظر حسن الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج ٤، ص ١١-١٧.

^٤ (٤) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة، ص ٦٧.

^٥ (٥) أبو عمر محمد بن عبد العزيز الكشي، نسبة إلى منطقة كيش من نواحي سمرقند، قال الطوسي في فهرسته بصير بالأخبار والرجال، حسن الاعتقاد، وقال النجاشي كان ثقة عينا، له كتاب معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي الذي أملاه الشيخ الطوسي على طلابه وسماه اختيار معرفة الرجال، للتفاصيل انظر أبو الهدى الكلباسي، سماء المقال في أحوال الرجال، ج ١، ص ٦٩.

^٦ (٦) محسن الأمين، أعيان الشيعة، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٦.

^٧ (٧) انظر محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، (النجف: النعمان، ١٩٦٤ م)، ج ١، ص ٦٢؛ ج ٢، ص ٣٤٣.

^٨ (٨) علي ابن موسى ابن طاووس، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص ١٣١

^٩ (٩) محسن الأمين، أعيان الشيعة، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٦.

^{١٠} (١٠) انظر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان، من المقدمة ج ١، ص ٤٧.

^{١١} (١١) صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج ١٢ ص ١٥٦.

^{١٢} (١٢) عبد الهادي الحكيم المصدر السابق، ص ٢٥.

^{١٣} (١٣) جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا، المصدر السابق، ص ٨٦.

^{١٤} (١٤) محمد جعفر الحكيم المصدر السابق، ص ٩٥-٩٦.

^{١٥} (١٥) الشيخ الإمام عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، فقيه، ثقة، قرأ على الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي جعفر الطوسي، وله تصانيف منها بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، أنظر الحر العاملي، أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، ج ٢، ص ٢٣٥.

^{١٦} (١٦) عبد الهادي الحكيم، المصدر السابق، ص ٢٥، نقلا عن الشبيبي.

^{١٧} (١٧) عماد الدين الطبري، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ص ٧.

المصادر والمراجع

((القرآن الكريم))

الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة.

- ١- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (قم: المؤسسة الإسلامية، ١٩٨٥)
- ٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق جواد الفيومي، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م)
- ٣- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، (بيروت: ١٩٨٠م).
- ٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)
- ٥- ابن قولويه، كامل الزيارات- المقدمة، (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ).
- ٦- ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)؛
- ٧- أبو الهدى الكلباسي، سماء المقال في أحوال الرجال، تحقيق محمد الحسيني، (قم: مؤسسة ولي العصر، ١٤١٩هـ).
- ٨- إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠م)
- ٩- ، تفسير ابن كثير، تحقيق يوسف عبد الرحمن، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٢م).
- ١٠- الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق احمد صقر- المقدمة، ط٧، (د.م: د.ط، د.ت).
- ١١- التفتازاني، شرح المقاصد في علوم القرآن، (باكستان: دار المعارف العثمانية، ١٩٨١م)
- ١٢- الجوهري، الصحاح ، تحقيق احمد عبد الغفور، ط٤، (لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)؛
- ١٣- الحر العاملي، الاثنى عشرية، تعليق مهدي اللازوردي وآخر، (إيران: دار الكتب العلمية، د.ت).

- ١٤-.....، أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، (قم: نومنت، ١٣٦٢ش)
- ١٥- جودت القزويني، المرجعية العليا (بيروت: دار الرافدين ٢٠٠٥م)
- ١٦- حسن الحكيم، الشيخ الطوسي، (النجف الاشرف: الاداب، ١٩٧٥م).
- ١٧-.....، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٨هـ).
- ١٨- درة النجف، (مجلة) (النجف)، السنة الأولى، رجب ١٣٢٨هـ.
- ١٩- الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م)
- ٢٠- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، (بيروت: دار القلم، ١٤١٦هـ)
- ٢١- الزركلي، الأعلام، ط٥، (بيروت: دار الملايين، ١٩٨٠م)،
- ٢٢- السمعاني، الأنساب، (بيروت: دار الجنان، ١٩٩٨م).
- ٢٣- صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٣م).
- ٢٤- عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الأشرف، (بغداد: مؤسسة آفاق، ٢٠٠٦م)
- ٢٥- عبد الهادي محسن الحكيم، العقد الفضولي - مقدمة السيد محمد تقى الحكيم - (النجف: الآداب، ١٩٧٠م)
- ٢٦- عفيفي عريبي يونس، تطور الفكر الإمامي في العراق خلال العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/ ١٠٥٥-١١٩٤م)، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٠م،

- ٢٧- علي بن موسى بن طاووس ، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، (النجف : الحيدرية ، ١٣٦٨ ش) ،
- ٢٨- علي البهادلي، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية (١٩٢٠ - ١٩٨٠)، (بيروت: دار الزهراء، ١٩٩١ م)
- ٢٩- علي كاشف الغطاء، باب مدينة علم الفقه (بيروت : الزهراء ، ١٩٨٥ م).
- ٣٠- عماد الدين الطبري، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق جواد الفيومي، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠ هـ)
- ٣١- الفاضل الهندي، كشف اللثام - من مقدمة رسول جعفریان -، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ).
- ٣٢- الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٥ م)
- ٣٣- قطب الدين الكبدري، مصباح الشريعة بمصباح الشيعة، تحقيق إبراهيم البهادري - من المقدمة - (قم: مؤسسة الصادق، ١٤١٦ هـ).
- ٣٤- الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق علي بن محمد وآخر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م).
- ٣٥- المجلسي، بحار الأنوار، (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣ م)
- ٣٦- مجموعة باحثين، الاجتهاد واشكاليات التطوير والمعاصرة، (بيروت: معهد الرسول، ٢٠٠٣ م).
- ٣٧- محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف، ١٩٨٣ م)

- ٣٨- محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف (١٩٢١ - ١٩٤٥ م)، (إيران: ستارة، ٢٠٠٤ م).
- ٣٩- محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة، ط٣، (بيروت: دار التعارف، ١٩٨١ م).
- ٤٠- محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، (النجف: النعمان، ١٩٦٤ م).
- ٤١-، التبيان، تحقيق أحمد قصير - من المقدمة -، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ).
- ٤٢-، تهذيب الأحكام - ط٣، (إيران: خورشيد، ١٣٩٠ هـ).
- ٤٣- محمد جعفر الحكيم، تاريخ وتطور الفقه والاصول في حوزة النجف الاشرف (النجف: المنار، ١٩٩٩ م).
- ٤٤- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (قم: النشر الإسلامي، ١٤٢٦ هـ).
- ٤٥- محمد علي بن أبي طالب، تاريخ حزين، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ).
- ٤٦- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (بيروت: دار الاندلس، د.ت)،
- ٤٧- محمد مفيد آل ياسين، العلامة الحلي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧١ م)،
- ٤٨- مكارم الشيرازي، التفسير الأمثل، (د.م: د.ط، د.ت)
- ٤٩- النوري، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (قم: مؤسسة آل البيت، ١٤١٦ هـ)

٥٠- الياس سركيس، معجم المطبوعات العربية، (قم : بهمن، ١٤١٢ هـ)،

٥١- يوسف كاظم جغيل الشمري، الحياة الفكرية في الحلة في القرن التاسع

الهجري، أطروحة دكتوراه، (جامعة بابل، ٢٠٠٨ م)